سلسلة الردود في أصل الدين على أهل الضلال والمشركين (٢)

إشهار الحسام

في وجه من لم يكفر الطاغوت صدام

ردا على مقالين للمدعو (أبو بصير الطرطوسي)

طبعة مراجعة ومنقحة

تأليف

عبد الحق حسين آل محمود

ذو الحجة سنة ١٤٢٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد القهار ، شرع لنا جهاد الكفار ، بالقتال والسنان ، والعلم والبيان، وأصلي وأسلم على النبي المصطفى المختار ، وعلى آله وصحبه الأبرار ، **وبعد :**

فقد وقع بين يدي مقالان بخصوص حكم الطاغوت صدام ، للمدعو : **(أبو بصير الطرطوسي)** ، قرّر فيهما أسلمة الطاغوت صدام بشُبهٍ واهيةٍ ، تفوحُ منها رائحة الإرجاء والتجهُّمِ !! وليس هذا بمستغرب في هذه الأيام ؟ التي تصدَّر فيها المتعالمون على شبكة الإنترنت : يُفتُونَ فيَضلُّونَ ويُضلُّونَ !! مصداقاً لقول النبي ﷺ : «إن الله لا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعَاً يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إذا لَمْ يُبْقِ عَالماً اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسَاً جُهَّالاً فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»[1].

وبمجرَّد إنشاءِ موقعٍ عنكبوتي = يطيرُ صاحبُه في هواء العالَمِ ؛ ينظرُ في جميع القضايا والأَحداث متكلماً بالبدع والإحداث !! مفتياً في جميع المسائل متشدقاً بالكتب والرسائل !! مُدّعياً التنظير والتَّجديد والوصاية على النَّهج السَّديد!!

تصدَّر للتدريس كلُّ مهوِّس بليد تسمّى بالفقيه المُدرِّس

فحقَّ لأهل العلم أن يتمثلوا ببيت قديم شاع في كلِّ مجلس

لقد هزلت حتى بدا من هُزالها كلاها وحتى سامها كلُّ مفلس

وتبدأ المغالطاتُ ..

فالمشركُ معذورٌ بالجهلِ !!

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٠) ، ومسلم (٢٦٧٣) من حديث عبد الله بن عمرو .

والتقوى تقتضي عدم تكفير أعيان الشُّرَطِ المرتدينَ !!

والتَّحاكمُ إلى الطَّاغوتِ مُباحٌ !!

والألباني جهميٌّ جلد .. ثم يُستغفر له ويُترحم عليه[1] !!

والحوالي المنتكِسُ في حمأة الضلالة يُكنُّ له كُلّ ودٍّ واحترامٍ !!

وأهلُ التَّوحيدِ غُلاةٌ وخوارجُ !!

إلى غيرِ ذلك من السَّوءاتِ المُسوَّدة في سائرِ القُصاصاتِ...

ولله درّ الحافظِ ابن حجر إذ يقول: «إذا تكلم المرء في غير فنه؛ أتى بهذه العجائب!!».

نعم؛ لقد أتى (الطَّرطوسي) بالعجائب !! وسكتنا عنه زمناً طويلاً لعلَّهُ يرعوي، حتَّى أتى بأُم العجائب: (**أسلمةُ الطَّاغوتِ صدَّام**) !! فنفضتُ الغبار عن قلمي للردِّ عليه، وكشفِ انتسابه المزوَّر[2]....

وهذا أوان الشروع في المقصود.

---

(١) وهذا تناقض واضح !! قال ابن القيم عن الجهمية:

ولقد تقلد كفرهم خمسون في ... عشر من العلماء في البلدان

واللالكائي الإمــام حكـاه عنـ ... ـهم بل حكـاه قبله الطـبراني

(٢) وقد شجعني على هذا الرد بعض مشايخنا الأكابر، عندما طلبتُ منه الرد على (**الطرطوسي**) فأبى ذلك؛ لعدمِ تفرُّغهِ للأصاغر والمتعالمين ! فامتثلتُ أمره الذي لا أستطيعُ ردَّه، وأفدتُ من ملاحظاته وتوجيهاته.

إلزام الطرطوسي بالدليل

قال (الطرطوسي) : (*لا ينبغي ولا يجوز التوقف عن القول بكفر حزب البعث العربي الإشتراكي، وكفر من يعتقده ويُنادي به وبمبادئه صراحة*) .

قلتُ : فإذا كان هذا هو الأصل عندك في حكم صدام ؛ فأنتَ المطالب بالدليل إذا أتيتَ بخلاف الأصل ..

فتعالَ معي ننظر في أدلتك بل شبهاتك !! ثم نكسرها ونهدمها بكلامك لا بكلام غيرك !!

كشف شبهات الطرطوسي

❊ قال (الطرطوسي) :

(أما فيما يتعلق بشخص (صدام حسين) ، وهل يُحمل عليه حكم الكفر أم لا .. أرى أن الرجل قد دخل ساحة المتشابهات التي تمنع من تكفيره بعينه، ومن ثم الحكم عليه بالنار، والشبهات المحيطة به تأتي من جهات عدة:

منها: أنه كان ولا يزال من المحرضين على جهاد الغزاة الصليبيين لأرض العراق .. وهذا الموقف له من جملة الأسباب التي قربته من حبل المشنقة .. وهذا الموقف ـ للتاريخ ـ يُذكر له، ويُشكر عليه .

ومنها: حرصه على أداء الصلاة المكتوبة .. حتى وهو في ساحة المحكمة الطاغوتية .. فيُقاطع المحكمة .. ويقوم لأداء الصلاة!

ومنها: ترديده لكثير من العبارات والشعارات الإيمانية الإسلامية التي تتنافى مع أدبيات ومبادئ حزب البعث العربي الإشتراكي وأخلاقياته.

ومنها: حرصه على أن يحمل معه القرآن الكريم كلما وجه به باتجاه المحكمة .. أو ظهر عبر وسائل الإعلام .. **وكأنه** يريد أن يقول للناس .. هاأنذا أعتقد بهذا الكتاب وبكل ما فيه .. وهاأنذا أموت على هذا الاعتقاد!) .

أقول :

أولاً : الكلام في تكفير الرجل وليس في الحكم عليه بالنار ..

ثانياً : كلُّ ما ذكرتَهُ لا يصلحُ أن يكونَ شبْهَ دليلٍ ينزعُ من صدَّام وصفَ الكفرِ ؛ فمتى كان التحريض على الجهاد أوِ الحرص على أداء الصلاة المكتوبة أو ترديد الشعارات

الإسلامية أو حمل المصحف أو المحاكمة من قِبَلِ الصَّليبيين والرَّوافض = ينفعُ معَ وجُودِ الشِّركِ بالله ؟؟

ألم تسمع إلى قوله تعالى :﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [الزمر:٦٥] ، وقوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام:٨٨] ، وقوله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان:٢٣] ؟

بلى لقد سمعتَ !! ألم تقل في كتابك «قواعد في التكفير» : إنَّ «**الحسنات ـ مهما عظمت بما في ذلك شهادتي التوحيد ـ لا تشفع لصاحبها إذا قابلها كفر بواح أو شرك أكبر**»اهـ .

فإذا كان هذا الأمر تعلمُه جيداً !! فلا أجد تفسيراً لقولك إلا بـ(الانتكاسة) عما كنتَ تدعو إليه !!

❊ قال (الطرطوسي) :

(*ومنها: أنه يُحاكَم من قبل أعداء الأمة من الغزاة الصليبيين، وعملائهم من الشيعة الروافض ..*)

أقول : وهل محاكمة الرئيس الصربي ـ كمُجْرِمِ حرْبٍ ـ من قِبَلِ الكفار يمنع من تكفيره؟!!

لقد فاتك إضافة هذا المانع الجديد إلى كتابك «قواعد في التكفير» !!

❊ قال (الطرطوسي) :

(*ومنها : تعرض الرجل لصنوف من البلاء والذل والعذاب .. التي تُخرجه من وصف الطاغوت إلى وصف العبد الضعيف المستضعف الذي يرجو رحمة ربه .. فالبلاء ـ وبخاصة منه الشديد ـ يُكفِّرُ ويُطهِّر المرء من ذنوبه، كما دلت على ذلك النصوص الشرعية*) .

أقول ثانيةً : وهل ما وقع بالرئيس الصّربي من بلاءٍ يخرجه من وصف الطاغوت إلى وصف العبد الضعيف المستضعف الذي يرجو رحمةَ ربِّه ؟!

وهل البلاء الذي وقع بفرعون عند موته يخرجُه من وصف الطاغوت إلى وصف العبد الضعيف المستضعف الذي يرجو رحمة ربِّه ؟!!

لقد سرَّيتَ عن نفسي الهُمومَ واستخرجتَ الضَّحِك من قَبْضة التقطيب والعُبوس !!

فقد عُلِمَ بالاضطرار من دين الإسلام أن البلاء إذا وقع على الكافر فإنه من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر ، كما قال تعالى : ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة:٢١] .

وقال (الطرطوسي) في كتابه «قواعد في التكفير» في ثنايا كلامه عن البلاء: «ولكن هل يحط عن صاحبه سيئة الكفر، ويمنع عنه لحوق وعيده وما يترتب عليه من آثار في الدنيا والآخرة ..؟

الجواب : **لا .. لأن البلاءَ مهما عظم وكبر لا يمكن أن يحط عن صاحبه سيئة الكفر، أو يمنع عنه وعيده وآثاره .. للأدلة الآنفة الذكر الدالة على أن الشرك يحبط جميع العمل، ويمحق جميع الحسنات.**

فالصبر على البلاء مانع من موانع لحوق الوعيد بالمعين فيما هو دون الكفر أو الشرك الكبر» اهـ .

※ قال (الطرطوسي) :

*(ومنها: **ربما** للرجل اجتهاد في أن إعلان التوبة الصريحة على الملأ وعبر وسائل الإعلام مما قد قدَّم .. واعترافه بالخطأ صراحة وأنه كان على باطل وضلال .. قد يوهن من قوة المقاومة والمجاهدين ويفرق كلمتهم .. ويُعطي المبرر والشرعية للغزاة الصليبيين وعملائهم .. وما يرتكبونه من جرائم حرب بحق البلاد والعباد .. **أو أنه يُبرر لهم بأن يحكموا عليه بما حكموا عليه مؤخراً؛ بحجة قد أدناك من لسانك .. وهذا جانب ينبغي اعتباره**)* .

أقول : هذا جهل مركب بالواقع والشرع معاً !!

أما جهله بالواقع ؛ فهو أن الصليبيين ما نقموا من صدّام تحكيمه للقوانين الوضعية !! وما نقموا منه انتمائه لحزب البعث !! إنما نقموا منه قتلَه لعشرات الناس، كما في (قضية الدجيل) المشهورة .

وما اعترافه بضلاله في الحكم أو ضلاله في حزب البعث يدينه لدى الصليبيين ؛ (بحجة قد أدناك من لسانك) كما قال من لا يدري ولا يدري أنه لا يدري!!

فلقد أضحكتَ سنّي ثانيةً !!

وأما جهله بالشرع ؛ فهو ما قرره بنفسه في رسالته «شروط لا إله إلا الله» بأن الطاغوت لا يقبل منه توبة حتى يتبرأ من سبب كفره علانية ، ولا يُعتذر عنه بالظنون والوساوس ! مثل قوله : (ربما للرجل اجتهاد..) و(كأنه يريد أن يقول للناس .. ها أنذا أعتقد بهذا الكتاب وبكل ما فيه..) .

وهكذا صار الحكم بالإسلام بالظنون والاحتمالات ، وعاد الحكم على الباطن، مُناقضةً لقول النبي ﷺ : «إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم» متفق

عليه .

وقد ردَّ (الطرطوسي) على نفسه في كتابه «قواعد في التكفير» بقوله إن «**المرء يحكم عليه بالكفر أو الإيمان بناءً على ظاهره؛ فإن أظهر الكفر - من غير مانعٍ شرعي معتبر - يحكم عليه بالكفر، وإن أظهر الإيمان يحكم عليه بالإيمان من دون أن نتتبع باطنة، أو نسأل عن حقيقة ما وقر في قلبه، لأن معرفة ما في القلوب من خصوصيات علام الغيوب، كما أن الأحكام مبناها على الظاهر، وما يظهره المرء من أقوالٍ أو أعمال**» اهـ .

* ثم نقضَ (الطرطوسي) ظنونه بقوله :

(*هذه الأوجه مجتمعةً هي التي حملتني على القول بأن الرجل قد دخل ساحة المتشابهات التي تمنع من الحكم عليه بالكفر بعينه .. وأقصى ما يُمكن أن يُقال في الرجل: أن وضعه - من خلال القرائن المحيطة به الآنفة الذكر - متشابه حّمال أوجه .. يحتمل الكفر من وجه وخلافه من وجه أو أوجه أخرى ..* ***والكفر المتشابه المحتمل لا يُقاوم الإسلام الصريح، وليس بمثله يُنقض الإسلام الصريح؛ فالإسلام الصريح لا ينقضه إلا الكفر البواح الصريح*** *.. كما دلت على ذلك نصوص وقواعد الشريعة .. وقد كان من علماء الأمة وسلفها من يتوقف عن تكفير من يُحتمل كفره من تسع تسعين وجه .. ويُحتَمل إسلامه من وجه واحد فقط، لما يترتب على التسرع في التكفير والخطأ فيه من مزالق لا تُحمد عُقباها !*).

فكيف صارت وساوسك وظنونك إسلاماً صريحاً ؟!

وكيف صار الأصل فيه الإسلام بعدما قلتَ فيه سابقاً : (**لا ينبغي ولا يجوز التوقف عن القول بكفر حزب البعث العربي الإشتراكي، وكفر من يعتقده ويُنادي به وبمبادئه صراحة**) ؟!

وكأني بكَ تشهدُ له ـ خلال فترة حكمه ـ بإعلان التوحيد وتطبيق الشرع السديد والبراءة من القوانين الوضعية ومن حزب البعث الاشتراكي ، ثم طرأ عليه الكفر لاحقاً فقلت في حقه : (.. **والكفر المتشابه المحتمل لا يُقاوم الإسلام الصريح، وليس بمثله يُنقض الإسلام الصريح؛ فالإسلام الصريح لا ينقضه إلا الكفر البواح الصريح)** !! ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾.

❊ قال (الطرطوسي) :

(*فات هؤلاء الذين يستشرفون الدعوة والتوقيع عن الله ـ بغير علم ـ أن المسلم يمكن أن تجتمع فيه الخصال التي يُحب ويوالى لأجلها .. والخصال التي يُبغض ويُجافى لأجلها .. وفي آنٍ واحد ..هذا الاعتقاد والإنصاف من أبرز ما يميز أهل السنة والجماعة عن غيرهم وبخاصة الخوارج الغلاة!*) .

أقول : عجيبٌ قولك !!

فالكافر يجب معاداته من كلِّ وجهٍ كما هو المقرر عند أهل السنة والجماعة ، وإنما الذي تجتمع فيه خصال يحب ويوالى لأجلها وخصال يبغض ويجافى لأجلها هو المسلم .

وبذلك تعلم أنك أنت المراد من قولك : (**فات هؤلاء الذين يستشرفون الدعوة والتوقيع عن الله ـ بغير علم**) .

وأن اتهام أهل التوحيد بالغلو دندنة اعتدنا عليها في كتبك ومقالاتك ..

ولله درّ الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ إذ يقول : «والمخلص الداعي إلى توحيد الله ، وإخلاص العبادة له عندهم خارجي مبتدع .. وأكثر هؤلاء لا يقتصرون على نسبة أهل

التوحيد إلى الخوارج والمبتدعة ، بل يصرحون بتكفيرهم واستحلال دمائهم وأموالهم ، والله المستعان»[1].

ولقد صدق (الطرطوسي) في وصف نفسه في «شروط لا إله إلا الله» : «**كم هؤلاء الذين يدَّعون في زماننا وصل التوحيد، ويكثرون الحديث عن العقيدة الصحيحة .. وهم في نفس الوقت يوالون أعداء التوحيد، ويجادلون عنهم ويوسعون لهم ساحة التأويل والأعذار .. بينما في المقابل يعادون أهل التوحيد، ويُسيئون بهم الظن، ويرمونهم بأقذع الألقاب والعبارات، ويُضيقون عليهم ساحة الأعذار أو التأويل ..» !!** .

※ قال (الطرطوسي) :

(من توفيق الله تعالى لهذا الرجل ـ إضافة لما ذكرته عنه في مقالي الآنف الذكر ـ أن جعل آخر عهده وكلماته التي فارق بها هذه الحياة الدنيا نطقه لشهادتي التوحيد (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله) .. وكانت قتلته شنقاً على يد الغزاة الصليبيين المعتدين وعملائهم الخونة من الشيعة الروافض.

نطق بالشهادتين .. وكرر نطقه بهما .. في ظروف يسودها الخوف والإرهاب .. والرعب .. وشماتة الأعداء وبذاءتهم .. غير آبه بكل ذلك .. مما دل على توفيق الله له، وتسديده وتثبيته!

لا يحسبنَّ المرء أن الموت على شهادة التوحيد ـ بحيث تكون آخر كلمات المرء التي يودع بها الدنيا ـ سهل ـ كما زعم أحد دعاة الفضائيات ـ من دون توفيق الله وتسديده له .. فكم من امرئ تمنى وحرص على أن يموت على كلمة التوحيد .. فمات على غيرها .. وفاجأه الموت من دون أن يتمكن من قولها .. نسأل الله تعالى السداد والثبات وحسن الختام.

---

(١) «تحفة الطالب والجليس» (ص٢٩) .

فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من عبدٍ قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة» مسلم.

وقال ﷺ: « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» .

وقال ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله عند الموت دخل الجنة يوماً من الدهر، وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه» .

وعن طلحة بن عبيد الله ﷺ قال سمعت النبي ﷺ يقول: «إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند موته إلا أشرق لها لونه، ونفَّس الله عنه كربته» . فقال عمر بن الخطاب ﷺ: إني لأعلم ما هي. قال: وما هي؟ قال: تعلم كلمة أعظم من كلمة أمر بها عمه عند الموت:«لا إله إلا الله»؟ قال طلحة: صدقت؛ هي والله هي .

وقال ﷺ: «إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعةً وتسعين سجلاً؛ كل سجلٍّ مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبت الحافظون؟ يقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم فيُخرج بطاقة فيها، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة، وما هذه السجلات؟! فقال: فإنك لا تُظلم، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة

في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله شيء » .

فهذا عنده تسع وتسعون سجل مليئة بالخطايا والذنوب .. كل سجل طوله وامتداده مثل مد البصر .. ومع ذلك قد رجحت عليهنَّ « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله »!

ومن وصية نوح عليه السلام لابنه: « آمرك بلا إله إلا الله؛ فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة، ووضعت لا إله إلا الله في كفة لرجحت بهنَّ، ولو أن السماوات السبع والأراضين السبع كنَّ حلقةً مبهمةً لقصمتهنَّ لا إله إلا الله») .

أقول : إليك الرد من كلامك في رسالتك **«شروط لا إله إلا الله»** !! فقد قضيت على نفسك بالإرجاء والتجهم !! وصرت من المحرفين !! .

جاء في المقدمة :

«..فقد تسلطت عليها [أي لا إله إلا الله] فِرَق الضلال والأهواء .. ابتداءً من العلمانيين الكافرين، مروراً بالصوفية المنحرفة، إلى أهل الإرجاء والتجهم، **إلى بعض جيوب السلفية المعاصرة الذين جندوا أنفسهم وعلمهم للذود عن الولاة والسلاطين المجرمين ..!!**

فقد أفرغوها ـ بكيدهم ومكرهم وتأويلاتهم الفاسدة الباطلة ـ من دلالاتها ومعانيها ومقاصدها .. وتعاملوا معها مجرد أحرف تردد على الألسن، مع طقطقة حبات المسبحة، في زوايا المساجد .. من دون أن تلامس حرارة القلوب، أو أن يكون لها أثراً فاعلاً في واقع حياة الناس وعملهم ..!

لم يتعاملوا معها كما أُريد لها أن تكون .. منهج حياة، منهجاً متكاملاً في التغيير؛ تغيير المجتمعات من أوحال الشرك إلى نور التوحيد، ومن ظلم الجاهلية إلى عدل الإسلام، ومن العبودية للمخلوق ـ أياً كان هذا المخلوق ـ إلى عبادة الله تعالى وحده .

أفرغوها من حقيقتها وحيويتها ومن الغاية التي أنزلت لأجلها .. وصوروها للناس على أنها مجرد أحرف باردة يتبرك بها عند الذكر أو التلاوة، لا مساس لها بواقعهم

وحياتهم وأعمالهم .. ولا ينبغي لها أن تكون !!

قلها ولو باللسان مرة .. وليكن منك بعدها ما يكون من عمل .. والتكن بعدها كالوحش الداشر المتمرد على الطاعة والعبودية !!

قلها مرةً .. تكن من أهل النجاة والإيمان ـ في الدنيا والآخرة ـ وإن لم تعمل بها ولا بشيء من أركان الدين وواجباته ..!!

قلها مرةً .. واعبد بعدها ما تشاء من الآلهة، والأصنام، والطواغيت الآثمين ..!!

وما دمت قد قلتها ـ ولو مرة في العمر ـ فأنت في حصنٍ منيع من التكفير، ومن دخول النار .. وأنت فوق أن يُشكك بك وبدينك وإيمانك مهما كان منك من عمل ..!!

هكذا قالوا ويقولون للناس، فانعكس ذلك دماراً وسلباً على دينهم، وعبادتهم، وحياتهم .. فالناس في وادٍ وحقيقة هذا الدين في واد آخر، **ومع ذلك فإن كثيراً منهم ـ بحكم تلبيس مرجئة العصر عليهم ـ يحسبون أنهم يُحسنون صنعا .. !**

فحظهم من الدين والتوحيد أنهم يتلفظون ـ مجرد تلفظ ـ بشهادة التوحيد في المناسبات وكلما طُلب منهم ذلك .. ومن دون أن يدروا شيئاً عن معانيها أو شروطها ولوازمها، أو يُلزَموا في واقع حياتهم وعملهم بشيءٍ من ذلك ..!!

ولما أصبح الأمر بهذه السهولة، وبهذا التسيب والهزل واللامبالاة .. **هان على الجميع التلفظ والتستر بها، والإتيان بها كلما طُلبت منهم .. فطواغيت الحكم يتلفظون بها** .. والزنادقة الباطنيين يتلفظون بها .. والعلمانيون يتلفظون بها .. وأهل الشرك من عبدة الأوثان يتلفظون بها .. حتى الشيوعيين الملحدين فإنهم يتلفظون بها .. **بل ما من كافر وفاجر إلا ووجدناه يتلفظ بها** ..وإذاتخاصم اثنان من أهل الفجور قال أحدهما

للآخر ـ على وجه السب والإسكات ـ وحد الله يا زلمة .. أي اسكت، وكفَّ خصامك !!

هكذا يتعامل الناس ـ إلا من رحم الله ـ مع التوحيد، وهكذا تُذكر لا إله إلا الله ..!!

وهؤلاء كلهم كما يصور لهم أهل الإرجاء والتجهم ـ قاتلهم الله! ـ أنهم مسلمون مؤمنون، ومن أهل الجنة ولا بد .. لا يجوز لأحدٍ الخوض في صحة إيمانهم وإسلامهم، أو رمي بعضهم بالكفر.. وأيما امرئٍ يفعل فهو عندهم من الخوارج وغلاة التكفيريين ..!!

معتمدين في ذلك على نصوص ـ لا حجة لهم فيها وهي عليهم لا لهم ـ يضعونها في غير موضعها، ويُنزلونها في غير منزلها الصحيح، ويحملونها من المعاني والتأويلات الفاسدة الباطلة ما يخُرجها عن دلالتها الشرعية التي أرادها الشارع ﷺ منها..!

من هذه النصوص التي سلطوا أهواءهم وأفهامهم السقيمة عليها، قوله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة» . فقالوا هذا نص في المسألة يفيد أن من أتى بالقول ـ مجرد القول ـ فهو من أهل الجنة .. !

واستدلوا كذلك بحديث البطاقة [!!] الصحيح والذي جاء فيه قوله ﷺ : «إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعةً وتسعين سجلاً، كل سجلٍّ مثل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً ؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ يقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر ؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيُخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة، وما هذه السجلات ؟! فقال: فإنك لا تُظلم . قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله شيء» .

فقالوا ـ أي مرجئة العصر ـ : هذا دليل على صحة مذهبنا وقولنا .. وعلى فساد قول مخالفينا في المسألة ..!!

أقول: وهذا كله ليس لهم به حجة، بل هذه النصوص ـ كما سيظهر للقارئ ـ هي حجة عليهم وليست لهم ..!

لذا من قبيل الرد على هذه الشبهة وغيرها من الشبهات التي ينشرها المرجئة وغيرهم بين عوام الناس وجهلتهم .. .. وقبل أن نُشرع في بيان شروط لا إله إلا الله التي لا بد من استيفائها وتحققها .. لا بد أولاً من ذكر بعض المقدمات الهامة الضرورية كتمهيدٍ ضروري بين يدي هذا البحث، التي توضح كثيراً من المعاني ـ ذات العلاقة بموضوع البحث ـ التي ينبغي للقارئ أن يعرفها ويتنبه لها.

المقدمة الأولى: أن صاحب التسع والتسعين سجلّ المليئة بالخطايا والذنوب والآثام، وكذلك النصوص التي تفيد دخول الجنة من لم يعمل خيراً قط، وغيرها من النصوص .. **يجب أن تُحمل على أن هذه السجلات، أو هذه الخطايا مهما عظمت أو كبرت فإنها خالية من الشرك أو الكفر الأكبر؛ لأن الشرك بمفرده يحبط العمل كلياً حتى لو كان صاحبه عنده من الأعمال الحسنة ملء السماوات والأرض ..**

فكما أن التوحيد الخالص ينفع صاحبه مهما كان منه من عمل طالح عدا الشرك، كذلك الشرك فإنه ينفي النفع عن صاحبه مهما كان منه من عمل صالح، وهذه قاعدة سنية مطردة ـ دلت عليها نصوص الكتاب والسنة ـ لا تتخلف ..

المقدمة الثانية: فكما أن الكفر والإيمان لا يمكن أن يجتمعان في الظاهر أو أن يلتقيان على صراطٍ واحد، كذلك لا يمكن أن يجتمعان في الباطن في قلبٍ واحدٍ؛ فإذا

حل الكفر في القلب أخرج الإيمان منه كلياً، وكذلك الإيمان لا يمكن أن يحل في القلب إلا بعد أن ينتفي منه الكفر أو الشرك مطلقاً، كما قال ﷺ: «لا يجتمعُ الإيمان والكفر في قلب امرئٍ» .

ومنه نعلم ونستفيد كذب من يدعي الإيمان في قلبه أو أنه مؤمن، بينما هو متلبس بالشرك البواح في ظاهره ..!!

المقدمة الثالثة: اعلم أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون الموحدون .. فمهما قيل في وصف بعض العُصاة الذين يدخلون الجنة فمعاصيهم لا تخرجهم عن كونهم من المؤمنين الموحدين الذين استوفوا التوحيد شروطه .. **والموحد لا يكون موحداً إلا إذا انتفى عنه مطلق الشرك الأكبر، وأفرد ربه ﷻ وحده بالعبادة .**

كما في الحديث المتفق عليه : «لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة» ...

وعليه فإن ورود الأحاديث الأخرى التي تفيد دخول الجنة لمن كان في قلبه مثقال ذرةٍ من إيمان .. أو من لم يعمل خيراً قط، كما هو ثابت في بعض الأحاديث الصحيحة عند البخاري وغيره، **ينبغي أن تحُمل على من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من إيمان زائدة على أصل التوحيد الذي لا ينجو صاحبه إلا به، وكذلك الذي لم يعمل خيراً قط؛ أي لم يعمل خيراً قط زائداً عن أصل الإيمان والتوحيد الذي لا بد منه ومن استيفائه ...**

المقدمة الرابعة: عند الحديث عن المسائل الكلية العامة كالتوحيد، والوعد والوعيد، وما يتعلق بذلك من مسائل الكفر والإيمان .. لا بد من مراعاة جميع النصوص الشرعية ذات العلاقة بالموضوع، وإعمالها بعضها مع بعض وجنباً إلى جنب من دون إهمال أو ترك شيءٍ منها، فما يُطلقه نص قد يخصصه ويقيده نص آخر، وما يُشكل معناه

في نص قد يفسره نص آخر، وما خفي معناه في نص قد يجُليه ويوضحه نص آخر، وما يجُيزه نص قد يحُرمه وينسخه نص آخر، وما يحُرمه نص قد يجُيزه نص آخر .. وهذا ما يقتضيه الإنصاف والفقه والعلم، والبحث الجاد الهادف .

أما إعمال نص أو نصوص دون النصوص الأخرى ذات العلاقة بالمسألة ـ رهبة أو رغبة، أو انتصاراً لهوى أو مذهب ضال بدعي ـ هو من خلق اللصوص ـ لصوص العلم والفقه ـ أصحاب الزيف والهوى، الذين لا يؤتمنون على دينٍ ولا دنيا ..!

فليس من الفقه، ولا الأمانة العلمية أن نأخذ ـ كما في مسألتنا هذه ـ حديثاً واحداً عن لا إله إلا الله، كقوله ﷺ : «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة» ، ونقيم عليه مسائل الإيمان والوعد والوعيد من دون النظر إلى عشرات الأحاديث والنصوص الأخرى التي تتكلم عن لا إله إلا الله، وعن شروطها، ولوازمها، ومتطلباتها .. والتي تضفي معناً ملزماً آخر!!

المقدمة الخامسة: من القواعد المتفق عليها بين جميع أهل العلم، والتي دلت عليها نصوص الشريعة: **رد المتشابه من الدين إلى المحكم منه، وجعل المحكم منه حكماً يُرد إليه المتشابه، ليفسره ويُبين المراد منه .. وليس العكس !!**

أما قلب القاعدة وإعمالها بالعكس بحيث يُرد المحكم من الدين إلى المتشابه منه، ويجُعل المتشابه منه هو الأصل والحكَم الذي يُرجع إليه، والذي يعلو المحكم ويفسره .. فهذا لا يجوز وهو من صنيع أهل الزيغ والضلال الذين يبتغون الفتنة والفرقة بين المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ ﴾ [آل عمران:٧] أعاذنا الله من أهل الزيغ والضلال، ومن طريقتهم ومنهجهم» .

وقال (الطرطوسي) :

«.. مما يُلفت النظر في هذا الزمان .. أن كثيراً من الناس - **ومنهم بعض الطواغيت** - قد حفظوا التعريف السابق لشهادة التوحيد، حتى ما إن تسأل أحدهم عن معنى شهادة التوحيد إلا ويجيبك بسرعة ومن دون أدنى تلكؤ أو تردد: لا معبود بحق إلا الله ..**!!** ..

وهؤلاء لا ينتفعون بشيءٍ من شهادة التوحيد ولا من حفظهم لتعريفها، وهم لا يسلمون من المؤاخذة والمساءلة في الدنيا ولا في الآخرة ..!» .

وقال في بيان شروط لا إله إلا الله :

«عرف الأصوليون الشرط بأنه هو ما يتوقف وجود الشيء على وجوده، ولا يلزم من وجوده وجود الشيء، لكن يلزم من عدمه عدم ذلك الشيء.

فشهادة التوحيد من شروطها مثلاً: النطق والإقرار؛ لا تتحقق ولا تصح لا إله إلا الله إلا به، ولا يلزم من وجوده منفرداً - من دون بقية الشروط والأركان - وجود وتحقق لا إله إلا الله، **ولكن عدم وجود هذا الشرط وغيابه يستلزم غياب وانتفاء لا إله إلا الله كلياً . وهكذا بقية شروط لا إله إلا الله** .. » .

ثم ذكر في شرط النطق والإقرار :

«مسألة : فيمن كان كفره من غير جهة الامتناع عن النطق بشهادة التوحيد، أينفعه النطق بشهادة التوحيد ..؟

الجواب: **من كان كفره من غير جهة الامتناع عن النطق بالشهادة، كأن يكون مثلاً جاحداً لأمرٍ معلوم من الدين بالضرورة، فشهادة التوحيد والتلفظ بها لا تنفعه إلا بعد أن يقلع عما كان سبباً في كفره أو خروجه من الإسلام.**

فلو قال مثلاً صوم رمضان غير واجب، أو لم يُشرع صومه .. فهو يكفر بذلك، ولا ينفعه لو تلفظ بشهادة التوحيد قبل أن يقلع عن جحوده لفرضية صوم رمضان؛ لأن كفره لم يكن من جهة امتناعه عن التلفظ بالشهادة، فهو كان يتلفظ بالشهادة قبل جحوده لرمضان وبعده ..

وكذلك الطاغوت المستبدل لشرع الله تعالى، المحارب لأوليائه ودينه .. فهو كافر بذلك، ولو أتى بالشهادة على وجه العادة ـ على مدار الساعة ـ لا تنفعه؛ لأنه لا يزال متلبس في الناقضة التي كانت سبباً في خروجه من الإسلام، وهذا وأمثاله لكي تقبل توبتهم، ويدخلوا في دين الإسلام من جديد لا بد مع التلفظ بالشهادة من الإقلاع والتوبة وإعلان البراءة من السبب الذي أدى بهم إلى الكفر والخروج من دائرة الإسلام .

وهذا مثل تقيس عليه جميع الحالات الأخرى التي تكون سبباً في كفر صاحبها وخروجه من دائرة الإسلام .

فإن أبا بكرٍ ومعه جميع الصحابة رضي الله عنهم قاتلوا جاحدي الزكاة على أنهم مرتدون مع أنهم كانوا يقولون لا إله إلا الله، ويشهدون أن محمداً رسول الله..

قال الشيخ الكشميري في كتابه إكفار الملحدين: **من كان كفره بإنكار أمر ضروري كحرمة الخمر مثلاً، أنه لا بد من تبرئه مما كان يعتقده، لأنه كان يقر بالشهادتين معه، فلا بد من تبرئه منه، كما صرح به الشافعية، وهو ظاهر «رد المحتار» من الارتداد، وفي جامع الفصولين، ثم لو أتى بكلمة الشهادة على وجه العادة لم ينفعه ما لم يرجع عما قال، إذ لا يرتفع بها كفره.** انتهى.

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: فمن عبد الله ليلاً ونهاراً ثم دعا نبياً أو ولياً عند

قبره فقد اتخذ إلهين اثنين ولم يشهد أن لا إله إلا الله؛ لأن الإله هو المدعو .. ومن رفع رجلاً في رتبة النبي ﷺ كفر وحل دمه ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة اهـ .

مراده أن الشهادتان لا تنفعه ولا تمنع عنه حكم الكفر والردة حتى يُقلع عن السبب الذي أدى به للخروج من دائرة الإسلام» .

وذكر في شرط الصدق والإخلاص :

«.. أن هؤلاء الذين يقولون لا إله إلا الله على وجه الهزل واللعب والتمثيل، أو الإسكات، وعلى غير وجه الجد .. ليسوا بمؤمنين ولا مسلمين لأنهم لا يقولونها صادقين مخلصين .

وكذلك الذي يقولها من الطواغيت من قبيل السياسة والتضليل للشعوب، ليموهوا عليهم حقيقة كفرهم وطغيانهم، وأنهم مسلمون تجب لهم الطاعة والموالاة .. معتمدين في ذلك التضليل على بطانتهم السيئة من مشايخ الإرجاء الذين يقومون بالنيابة عنهم في إقناع الناس أن هؤلاء الحكام مسلمون ماداموا يصرحون بشهادة التوحيد ..!!

أقول: هؤلاء الطواغيت الذين ينطقون بالشهادة ـ على وجه السياسة والتكتيك ـ فإنها لا تنفعهم في شيء؛ لأنهم لا يقولونها على وجه التصديق والإخلاص .

وكذلك الذي ينطق بشهادة التوحيد من أصحاب الدعوات العلمانية وغيرهم من زنادقة العصر .. فإنهم لا ينتفعون بها في شيء لإضمارهم الكفر والنفاق الذي يُضادها وينفيها...» .

وأختم النقل عن (الطرطوسي) بقوله : **«هل يلزم منه أن كلمة التوحيد ترفع عن قائلها السيف، أياً كان قائلها وكانت صفته، وكان ذنبه ..؟!**

أقول: لا يلزم ذلك .. ولبيان ذلك يتعين علينا ذكر الحالات التي لا يُرفع فيها السيف عمن يقول لا إله إلا الله .

ـ الحالة الأولى: المرتد ردة مغلظة .

وهو الذي يتبع ردته حرباً لله ولرسوله وللمؤمنين، فيزداد بذلك كفراً على كفر .. فمثل هذا لا تقبل توبته بعد القدرة عليه، ولا يُستتاب، ولو تاب وجهر بلا إله إلا الله لا يُقبل منه ولا يرتفع عنه السيف وحد القتل .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [آل عمران:٩٠].

قال ابن تيمية في الصارم: أخبر سبحانه أن من ازداد كفراً بعد إيمانه لن تقبل توبته، وفرق بين الكفر المزيد كفراً والكفر المجرد في قبول التوبة من الثاني دون الأول، **فمن زعم أن كل كفر بعد الإيمان تقبل منه التوبة فقد خالف القرآن** اهـ .

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك ﷺ: أن رهطاً من عُكل ثمانية قدموا على النبي ﷺ ، فاجتووا المدينة، فقالوا: يا رسول الله أبغنا رِسْلاً، قال: «ما أجد لكم إلا أن تلحقوا بالذود»، فانطلقوا فشربوا من أبوالها وألبانها حتى صحوا وسمنوا، وقتلوا الراعي واستاقوا الذود، وكفروا بعد إسلامهم . فأتى الصريخ النبيَّ ﷺ، فبعث الطلب، فما ترجل النهار حتى أُتي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم ثم أمر بمسامير فأحميت فكحلهم بها وطرحهم بالحرة يستسقون فما يُسقون حتى ماتوا .

فعل بهم ذلك لأنهم أتبعوا ردتهم القتل، والنهب للأموال العامة للمسلمين .. فازدادوا بذلك كفراً .

وعند البخاري كذلك عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ دخل عام الفتح وعلى رأسه المغفر، فلما نزعه جاء رجل فقال: ابن خطل متعلق بأستار الكعبة، فقال: «اقتلوه».

وقوله «متعلق بأستار الكعبة» أي تائباً يطلب الأمان .. ومع ذلك لم يُستتب ولم ينفعه ذلك في شيء، ولم ينفعه الأمان العام الذي أعطاه النبي ﷺ لأهل مكة، وبخاصة منهم من دخل المسجد الحرام .. بسبب أنه ارتد عن الإسلام، وضم إلى ردته القتل والشتم للرسول ﷺ، والتحاقه بالمشركين ..!

وكذلك فُعل بمقيس بن ضبابة، وابن سرح وغيرهم لما ضموا إلى ردتهم الحرب على الله وعلى رسوله والمؤمنين.

قال ابن تيمية في الفتاوى ٢٠/ ١٠٣: **يُفرق في المرتد بين الردة المجردة فيقتل إلا أن يتوب وبين الردة المغلظة فيقتل بلا استتابة**» اهـ.

أقول بعد هذه المقتطفات القيمة: لقد أراحنا (الطرطوسي) من مؤنة الردِّ عليه؛ فلقد أبلى بلاءً حسناً في الردِّ على نفسه، بل حفرَ قبره برمسه، ولم يدرِ يومه من أمسه **!!** ومع هذه الردود الرائعة = فاته التنبيه على استدلاله الخاطيء بحديث: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» وكذلك حديث: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله عند الموت دخل الجنة يوماً من الدهر، وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه».

فأقول مستدركاً عليه:

أثبت العرش أولاً، ثم انقش.

ـ **أما الحديث الأول**: فقد أخرجه أبو داود (٣١١٦) والحاكم (١/ ٣٥١) وأحمد (٥/ ٢٣٣) من طريق صالح بن أبي عريب، عن كثير بن مرة، عن معاذ بن جبل مرفوعاً، به.

وصالح بن أبي عَريب : لم يوثقه غير ابن حبان ، وهو متساهل في توثيق الضعفاء والمجاهيل ، ولذا قال الحافظ ابن القطان في «بيان الوهم والإيهام» (٤/ ٢٠٦) متعقباً ابن الخراط بإيراد حديثه في «الأحكام الوسطى» :

«سكت عنه ، **وأراه تسامح فيه** ، فإنه حديث يرويه عبد الحميد بن جعفر ، قال : حدثني صالح بن أبي عَريب ، عن كثير بن مرة ، عن معاذ .

وصالح هذا لا تعرف حاله ...» اهـ .

وأما تحسين الألباني للحديث ؛ فهو كتحسين الترمذيِّ ، فيه نظرٌ **!!**

ـ **وأما الحديث الثاني** : فقد أخرجه ابن حبان (٧١٩) من طريق إسماعيل الفارسي؛ حدثنا الثوري ، عن منصور ، عن هلال بن يساف ، عن الأغر ، عن أبي هريرة مرفوعاً به.

قال الألباني في «الإرواء» (٣/ ١٥٠) : «**رجاله كلهم ثقات معروفون غير محمد بن** إسماعيل هذا ، وقد ذكره ابن حبان في الثقات وقال : «يغرب» كما في اللسان وقال :

«وهذه الزيادة (يعني من كان آخر..) أخرجها البزار من وجه آخر وليس عنده التقييد بالآخرية» . » اهـ .

قلتُ : وقول ابن حبان عن الراوي : «يغرب» جرح صريح له ، وإن أورده في «ثقاته»، كما قرر العلامة المعلمي .

فكيف يبنى حكم الإسلام على أحاديث ضعيفة ؟!!

أما توجيه الحديث فيقال : إنَّ الحديث مُقيَّدٌ بقول لا إله إلا الله في حال النزع

والاحتضار ؛ لأن المرء حينئذٍ يكونُ فاقداً للإرادة ؛ فـ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم:٢٧] ، قال طاووس : «﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ لا إله إلا الله ﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ المسألة في القبر»(١).

ومن هنا اشتد خوف السلف الصالح ـ رحمهم الله ـ من سكرات الموت ، خشيةً من أن يسلبوا الإيمان .

وأما من يقولها قبل الاحتضار ، ولو بدقائق ، فهذا لا فرق بينه وبين من يقولها قبل الاحتضار بسنوات ؛ **لأن الإرادة التامة متوفرة في كليهما** .

وقد دل على ذلك لفظ الحديث إذ قال فيه : «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله **عند** الموت دخل الجنة ..» .

و(**عند**) ظرفية ، تدلُّ على أن المراد من يقول لا إله إلا الله وهو يموت ، كما لا يخفى على صغار طلبة النحو!

ولذا قال الحافظ ابن حبان في «صحيحه» عقب حديث : «اقرءوا على موتاكم يس»: «**أراد به من حضرته المنية** ، لا أن الميت يُقرأ عليه ، قال : وكذلك لقنوا موتاكم لا إله إلا الله» اهـ .

قال ابن حجر في «التلخيص» : (٢/ ١٠٤) : «ورده المحب الطبري في الأحكام وغيره في القراءة ، **وسلم له في التلقين**» اهـ .

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٠٢) .

والعجب أن (الطرطوسي) احتج بقصة فرعون وهي حجَّةٌ عليه ؛ فقد أقرَّ فرعون بالإيمان عند موته فماذا كان حكمه ؟ قال شيخ الإسلام في «الصارم» [1] : «**والتوبة بعد القدرة توبة إكراه واضطرار، بمنزلة توبة فرعون حين أدركه الغرق، وتوبة الأمم المكذبة لما جاءها البأس، وتوبة من حضر الموت، فقال: إني تبت الآن**» .

وهناك وجه آخر في هذا الحديث : فقد قال الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ في «صحيحه» (١/ ٣٨٣) :

«باب في الجنائز ، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله ، وقيل لوهب بن مُنبِّه : أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله ؟ قال : بلى ، ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان فإن جئت بمفتاح له أسنان فُتح لك ، وإلا لم يُفتح لك» .

ثم ساق البخاري بسنده عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : «أتاني آتٍ من ربِّي فأخبرني ـ أو قال : بشَّرني ـ أنه من مات من أمتي **لا يُشرك بالله شيئاً** دخل الجنة» . فقلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : «وإن زنى وإن سرق» .

وساق حديث النبي ﷺ : «من مات **يشرك بالله شيئاً** دخل النار» .

فذكر ـ رحمه الله ـ قول وهب بن منبه ؛ للتنبيه على أنَّ المراد من الحديث : «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله ..» هو العمل بمقتضاها ، لا مجرد التلفظ بها .

وهذا العمل مُقيَّدٌ بعدم الشرك بالله ؛ كما في الحديثين اللذين ساقهما بعد قول وهب..

قال المحدث الشيخ أحمد الدهلوي في «شرح تراجم البخاري» : (ص/ ١٢٠):

---

(١) نقلاً عن الطرطوسي في «شروط لا إله إلا الله» .

«قوله «قيل لوهب» إلخ ، قائل هذا القول كان يميل إلى مذهب الإرجاء ، فأجابه وهب بن منبه بأن الأعمال داخلة في الإيمان أو شرط له ، ومجرد قول لا إله إلا الله بلا عمل لا ينفع ، ويتمسك بحديث الباب بحمله على معنى أنه لم يشرك بالله في آخر عهده وقال لا إله إلا الله ثم مات قريباً من ذلك» اهـ .

قلت : وهذا التوجيه المذكور إن صحَّ الحديث ، وإلا فالذي ثبت في «الصحيح» هو قوله ﷺ : «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة» .

وهذا الحديث يجمع مع الأحاديث الأُخر الواردة في شروط لا إله إلا الله.. كما قال (الطرطوسي) !!

توضيح ما تقدم

والحاصل : أن صدَّام طاغوتٌ من الطواغيت ؛ وأن كفره ليس من بابِ ترك النطق بلا إله إلا الله ، أو ترك الصلاة ، أو ترك حمل القرآن ، أو إغفال الشعارات الإسلامية ، أو عدم مناداته بجهاد المحتلين [1]؛ وإنما كان كفره بسبب تشريعهِ من دون الله ، وانتمائهِ لحزب البعث الشِّركي ، إلى غير ما ذلك من المكفرات ...

وقد قرر أهل العلم أن المرتد لا يقبل منه قول لا إله إلا الله حتى يتبرأ من سبب كفره .

ولهذه القاعدة أدلة من الكتاب والسنة وشواهد من سيرة أصحاب النبي ﷺ؛ وقد مضى قول (الطرطوسي) في رسالته «شروط لا إله إلا الله» : «من كان كفره من غير جهة الامتناع عن النطق بالشهادة، كأن يكون مثلاً جاحداً لأمرٍ معلوم من الدين بالضرورة، **فشهادة التوحيد والتلفظ بها لا تنفعه إلا بعد أن يقلع عما كان سبباً في كفره أو خروجه من الإسلام...»** إلخ .

والسؤال الذي يرد في هذا المقام : هل تبرأ صدام من القوانين الوضعية أو من حزب البعث ؟

والجواب اليقيني : لا . هذا ظاهر صدام ، ونحن مأمورن بإجراء الأحكام على الظاهر ، والله يتولى السرائر .

ومن الأدلة على ذلك أقوال صدام في محاكماته ، وهي خاتمة حياته .

ـ ففي الجلسة المنعقدة في يوم الأربعاء ٢٦ يوليو/ تموز ، خاطب صدام رئيس

---

(١) يجب أن يعلم أن (حزب البعث) وطنيون يرفضون الاحتلال والاستعمار!

المحكمة، قائلاً : إنه في حال إدانته والحكم عليه بالإعدام فإنه يريد ذلك رمياً بالرصاص لا شنقاً ، لأنه ـ كما قال ـ **عسكري وتنفيذ الإعدام بالعسكريين يتم رمياً!!**

ـ وفي الجلسة المنعقدة في يوم الاثنين ١٠ يوليو/ تموز ، أعلن صدام حسين مقاطعة جلسات المحاكمة قائلاً : **إنها تستهزئ بالقانونين الدولي والعراقي !!**

ـ وفي الجلسة المنعقدة في يوم الإثنين ١٥ مايو/ أيار ، رفض صدام إعطاء أي إجابة حول ما إذا كان بريئاً أم لا بعد قراءة القاضي لائحة الاتهام المفصلة مختتماً بذلك قضية الادعاء.

وعندما سأل القاضي صدام عما إذا كان مذنباً أجاب الرئيس العراقي السابق: لا أستطيع القول مجرد نعم أم لا. **أنا رئيس العراق وفقا لإرادة العراقيين ولا أزال الرئيس حتى هذه اللحظة**(١) . هذه ليست طريقة يتم بها التعاطي مع رئيس العراق .

ـ وفي الجلسة المنعقدة يوم الأربعاء ١٩ اكتوبر / تشرين الأول قال صدام للقاضي : **إنني أحتفظ بحقوقي الدستورية كرئيس للعراق**(٢). ولا اعترف بالجهة التي نصبتك .. لا أعترف بالعداون .

---

(١) وفي هذا رد على قول الطرطوسي : (تعرض الرجل لصنوف من البلاء والذل والعذاب .. التي تخرجه من وصف الطاغوت إلى وصف العبد الضعيف المستضعف) فهو لا يزال يعتبر نفسه طاغوتاً للعراق ! وإن كان ذلك من الهوس بمكان .

(٢) أتعجب من مقال (الطرطوسي) بعنوان: (كلمة حول الدستور العراقي) حيث يقول فيه : (من المآخذ التي تؤخذ على الدستور العراقي أنه يُغيِّب مبدأ وعقيدة أن الحكم لله تعالى وحده لا شريك له .. وهو يجعل خاصية التشريع، والتحليل والتحريم، والتقبيح والتحسين.. والحكم على الأشياء، =

قلت : وهذه الأقوال صريحة في أن الرجل لا يزال على ضلاله القديم .

وكذلك عدم تبرئه من حزب البعث ؛ حتى قال عند إعدامه : (**عاشت الأمة وفلسطين عربية**) .

وهذه الكلمةُ ليست مُكفِّرة في حدِّ ذاتها ، ولكنَّها ذاتُ دلالةٍ واضحةٍ على بعثيَّةِ هذا الرجل ، حتّى أشاد بها حزب البعث الأردني الاشتراكي في مقابلَةٍ فضائية ، وقالوا في نعيهم لصدام : **إنه الأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي !!**

فهو لا يزال إلهاً لحزب البعث !!

وقديماً قيل لصدام:

تبارك وجهك القدسي فينا   كوجه الله ينضح بالجلال

تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

= للإنسان بصور شتى ومتعددة .. فالله تعالى ـ وفق دستورهم ـ ليس له الخلق والأمر .. كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤]. وإنما له الخلق وحسب .. بينما الأمر والحكم والتشريع فهو للعبد المخلوق .. وكذلك الكلمة المطلقة .. والسيادة العليا ـ التي لا تعلوها سيادة ـ فهي للعبد المخلوق!

الله تعالى ـ كما يقولون في دستورهم ـ ليس إلهاً في السماء والأرض .. كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف:٨٤]. وإنما هو إله في السماء وحسب .. بينما الإله في الأرض هو العبد المخلوق .. هو الطاغوت!) انتهى .

وبالطبع كلامه هذا في أصحاب الدستور العراقي الجديد !! أما كلامه في صاحب الدستور العراقي القديم فقد رأيته .. !؟ ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴾ .

والخلاصة :أن صدام طاغوت من جهة الحكم وطاغوت من جهة كونه الأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي ..

ولم يتبرأ صدام من طغيانه في الحكم ، ولم يتبرأ من طغيانه في حزب البعث .

ولا دليل على ذلك مطلقاً .

فلا ينفعه تلفظه بالشهادتين ؛ لأن كفره ليس بسبب الامتناع عن تلفظه بهما ، فإنه كان يتلفظ بهما طوال حياته .

فلا يحكم بإسلامه إلا بإظهار البراءة من سبب كفره .

ولم يظهر البراءة من سبب كفره ، فيستصحب حاله في الأصل فيأخذ حكمه .

هذا ما دلَّ عليه كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وقرره أهل العلم .

وبذلك يتبيَّنُ للقارىء تلاعب (الطرطوسي) بنصوص الشَّرعِ ، ومناقضته لما كان يدعو إليه ؛ تحقيقاً لرغبةٍ عاطفية في صدام ، وهذا ظاهر للعيان .

هذا ما أردتُ كتابته في هذه الورقات ، ولم أُردِ البسطَ في الردِّ لضيق الأوقات، وكون المسألة من الواضحات ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

عبد الحق بن حسن آل محمود

ذو الحجة سنة ١٤٢٧هـ